

العنوان:	تغيير العالم
المصدر:	الوعي الإسلامي
المؤلف الرئيسي:	عزت، هبة رؤوف
المجلد/العدد:	س 45, ع 520
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2008
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
الشهر:	ديسمبر / ذو الحجة
الصفحات:	36 - 37
رقم MD:	447801
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الفكر الاسلامي، الحركات الاسلامية، الفكر الغربي، الدعوة الاسلامية، الشريعة الاسلامية
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/447801

تغيير العالم

د. هبة رؤوف عزت- مصر

مازلت أذكر يوم جلست مع د. أنور عبد الملك، وهو واحد من ألمع العقول العربية، ذو خلفية يسارية، مسيحي قومي عربي ومفكر عالمي من جيل الأربعينيات، سمعته عالمية وشهرته واسعة، وهو أول من لفت للتوجه شرقا، وعلى معرفة عميقة بالحضارات الشرقية، يزور الصين ويتابع أحوالها، ويعرف -بحكم ماركسيته- مسيرة الاتحاد السوفيتي صعودا وهبوطا وصحوة حالية، كما قام في فترة من حياته بالتدريس في باريس وفي جامعة الأمم المتحدة باليابان، ومقاله في جريدة الأهرام القاهرية من أمتع ما يمكن أن تقرأ عن مشهد العولمة، وأعمقه.

شرقنا وغربنا في الحديث عن واقع العرب والمسلمين، وعن اسهامات التيارات المختلفة واخفاقاتها في صناعة النهضة، وعن رؤيته للتيارات الاسلامية بدءا من الامام حسن البنا الذي عاصره واختلف معه الى اليوم، والذي قال عنه كلاما، وحين سألته إن كان قد كتبه لنتعلم من دروس التاريخ، قال إنه يرفض أن يكتب نقده له، وكان رده عن السبب حين طالبته بالكتابة والتقويم، لأن الحركة الاسلامية تستفيد من كل نقد وتقويم «أستطيع أن أتحدث، لكن لا أستطيع أن أكتب ضد رجل مات شهيداً ودفع حياته ثمناً لأفكاره».

أذكر أنني في ختام الحديث الذي جلست أدون أفكاره وأسجل خواطري حوله اتفاقا واختلافا سألته قبل أن أغادر: «ماذا كان هدفك طوال هذه السنين من السعي والترحال والكتابة والنضال»؟

نظر لي في دهشة وكأنه سؤال ساذج: «هدفي؟ تغيير العالم بالطبع»! ابتسمت وغادرت.

كل التيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية لها هدف هو التغيير، بعضها يريد أن يغير واقعه، والبعض الآخر الذي يحمل رؤية كونية أو رسالة أيدلوجية- يريد أن يغير واقعه والعالم.

كيف نغير العالم؟

والحق ان السؤال الأولى بالرد قبله هو.. كيف نتصور العالم؟

لفترة طويلة تصور المسلمون العالم في صيغة معسكرين، معسكر الكفر ومعسكر الإيمان، دار إسلام ودار حرب، ثم نمت فكرة دار العهد، ثم تحولت الرؤية إلى تصور مركب لأمة دعوة وأمة إجابة، وتشابك الدور، في ظل عولمة فشت فيها الجاهلية في دور المسلمين، فاختلط الصالح بالسيء في الممارسة الاجتماعية والسياسية وفي كيفية إحداث التغيير فمنهم من أراد أن يغير بلسانه، ومنهم من أراد أن يفعل بيده، ومنهم من قام بتكفير المجتمع وهجرته، ورفع السلاح ضده، وصولاً للقاعدة التي يخلط فقهها بين الأوراق ويعارض فقهاً مستقراً في ضوابط الجهاد والخروج والحسابات السياسية والأولويات الإنسانية، ومن هنا إلى الإسلام الحضاري الذي رفع لواءه الأفغاني وتيار التجديد، وصولاً لرايته التي تحملها ماليزيا الآن شعاراً.

سبل عديدة

هناك سبل مختلفة لتغيير العالم، بعضها لجأ للهدم في كل التقاليد الدينية، من حروب الإبادة القديمة للحروب الصليبية، للإبادة الجديدة، للغزو الذي يدمر التاريخ كما في مشهد الخليج والعراق من غزو الكويت لمشهد الاحتلال الدامي للعراق وتمزيق أوصاله. تحت سمع وبصر القانون الدولي والأمم المتحدة في ظل هيمنة القوة وتنامي عسكرة العلاقات الدولية. وهناك سبل من التصوف والدعوة لتزكية النفس، إلى سبل التبليغ، إلى التنظيم الاجتماعي، إلى المشاركة السياسية.

سبيل آخر لتغيير العالم كان محاولة تغيير العلم ومنهجه، والتركيز على العقل. كانت تلك محاولات د. اسماعيل راجي الفاروقي وثلة من العلماء، والدليل على أن تلك جبهة هامة هو النجاح الذي لاقته الدعوة والتعبئة التي تمت لعقول الأمة للبحث عن مناهج جديدة في العلوم ونقد للعلوم الغربية دون سعي لنقضها أو هدم منجزاتها. والدليل الثاني هو أن الرجل قد قتل كما يقتل رواد التجديد وزعماء



● مدرس السياسة بجامعة القاهرة

الإصلاح في تاريخ الأمم.

رموز التغيير

سار على هذا الدرب من الجهاد الفكري أمثال مالك بن نبي، وعلي عزت بيجوفيتش، وروجيه جارودي، وعلي شريعتي، وعبد الوهاب المسيري، وطه عبد الرحمن، وغيرهم من المفكرين والكتاب والقائمة طويلة. وانبعثت جهود أثمرت تأسيس مدارس فكرية في الجامعات وجامعات إسلامية في الأقطار تتبنى المنظور المقارن وتمثل منصات للاجتهاد الجماعي.

هناك أيضاً تغيير عالم المسلمين بتغيير الفقه، فقد تطورت المذاهب الإسلامية لتواجه عالماً جديداً، وانتفض علماء الشريعة ليشحذوا أدوات الفهم والاجتهاد، وتأسست المجامع الفقهية في عالم الإسلام وفي الغرب، ونشأ فقه حول الاقتصاد الإسلامي ليتعامل مع المتغيرات، وفقه الأقليات ليؤسس لتغيير العالم بصياغة رؤى للتعايش بين المسلمين وغير المسلمين على أساس من العدل والدفاع عن الحقوق.

هناك أيضاً تغيير العالم، بإبقاء شعلة النضال والجهاد مشتعلة، جهاد فلسطين ونضال لبنان ومقاومة تحرير الأراضي الإسلامية المغتصبة والمحتلة لا تصب فقط في تحرير عالم المسلمين من البطش والطغيان والعدوان، بل هي جهود لها صدى إنساني أوسع، لذلك نجد الصادقين من المخلصين الأوفياء لفطرتهم من كافة الأمم يناصرون تلك النضالات، بل يموتون دفاعاً عن الحق كما ماتت راشيل كوري التي أعلنت بموتها إدانتها كإنسانة يهودية للجرائم الصهيونية.

وهناك تغيير العالم بالقلم، شعراً وأدباً، وبالفنون، موسيقى وتشكيلات، بما يصب في كماليات الخبرة الإنسانية واكتمالها.

الإبداع

وهناك تغيير العالم ببنيان ومعمار يبقى تحفة يزورها القاصي والداني تدل على أن البشر أقوى من الحجر، وأن الإبداع يتجاوز التاريخ، وأن الجمال لغة عالمية، فنفخر بآثار حضارتنا كما نفخر بعقيدتنا.

تلك كلها تجليات كبرى لعقول تريد تغيير العالم، بتغيير الخرائط المختلفة وتجديد الرؤى والجهود.

بيد أن هناك في عصر العولمة وسائل تجدد مناهج تغيير العالم وتجعلها في متناول يد الفرد العادي، كما فعلت الأوقاف عبر العصور. فتغيير العالم ليس ثورات وحركات ملايين، بل سعي لاستبقاء إنسانية الإنسان ولو على أصغر وأقرب مستوى.. أن يظل العالم يحمي القطط الضالة فيوقف المسلم عليها مالاً ليُشترى به لها لبن، كما يشتري الحب لحمام المساجد، والظل للمارين بشراً ودواباً، والماء في الأسبلة للشرب والوضوء، ورعاية طلبة العلم الذين يسعون في مناكبها وراء الحكمة ولو في الصين.

تغيير العالم قد يكون في متناول كل أحد لو خدم مقاصد الشرع، فقام بدعم عالم أفضل في مواجهة عالم أشرس.

تغيير العالم يبدأ من الفرد.. الانسان

وصلتني في صندوق بريدي الإلكتروني رسالة من كارين أرمسترونج، وهي لمن لا يعرفها كاتبة كانت راهبة تركت الدير وبدأت في الكتابة عن الأديان بأسلوب بسيط، وكتبت كتاباً منصفاً عن رسول الله ﷺ وعن القدس كمدينة لثلاث عقائد، وكتبها من أفضل ما يمكن أن تهديه لقارئ لا يعرف شيئاً عن الإسلام، فرؤيتها منصفة وعقيدتها أقرب اليوم للصابئة، تؤمن بالله ولا تنهج شريعة، مما مكنها من أن ترى الأمور بميزان العدل، وبقلب مؤمن، بعد أن هجرت الكاثوليكية لرحابة إيمان، ابتسمت حين سألتها عن ملتها في لقاء جمعني بها في بيتها في لندن منذ سنوات بعيدة في منتصف التسعينيات فقالت في هدوء: «إيمان بالله.. وكفى». للإسلام أصوات تدافع عنه ولا تؤمن بعقيدته، كانت في عصر الرسول ﷺ ومازالت. كارين أرمسترونج أطلقت وثيقة عالمية أسمتها وثيقة التراحم للتأكيد على ما هو مشترك بين الأديان من دعوة للرحمة، وهي دعوة تخالف الماسونية، ولا تدعو لتجاهل الفوارق بين العقائد، بل أشبه بحلف للفضول يؤكد على القيم والأخلاق والتواصل للدفاع عنها ضد عالم يتحول للهمجية.

ذلك مبلغها من العلم والعمل، والساحة مفتوحة لمبادرات ينشئها مسلمون ويُشركوا فيها العالم لو أجادوا التعبير عن جوهر العقيدة وترجمة معالم الشريعة للعالمين في صيغ تستقطب أصحاب الفطرة القويمة والمعدن الخير سواء أسلموا أم لم يسلموا.

عالم أفضل

في الغرب مبادرات لدعم الشباب: «ما حلمك لعالم أفضل؟»، وحين يتم العثور على شاب واعد همام له فكر وعنده حلم وخبرة في خدمة المجتمع والسعي للاصلاح يتم دعمه بمنحة تكفيه احتياجات الحياة وتفرغه لتحقيق الحلم، وتغيير مجتمعه والعالم، (أشوكا من أشهر تلك المبادرات على الساحة الدولية) ووقفيات تنشأ الآن لدعم شباب المبدعين والباحثين مثل مبادرة آل جميل بالحجاز ومؤسسة محمد بن راشد في الإمارات العربية ومؤسسة قطر يمكن أن تغير وجه العالم الإسلامي ووجه العالم لو ذهبت للأصلح وتحرت المقاصد الأولى لخدمة عالم الإسلام.. والعالم.

الجمال رسالة

الشيخة حصة الصباح قررت أن الجمال رسالتها، فجمعت آثار المسلمين في مجموعة مقتنيات تكفي متحفاً عالمياً، ومعماريون مسلمون قرروا أن تكون العمارة ساحة جهادهم لتغيير العالم، وعلماء وأساتذة جعلوا ساحة الجهاد معاملهم وبحوثهم.

تغيير العالم طرائق ومسالك، تحتاج حصافة، فقد ينجو في دروبها البعض، والبعض على المسارات هالك، والحكمة من عطايا الوهاب، هو الذي يؤتي الرحمة ويعلم من لدنه العلم، ويشرح الصدور.

وعلى هذا الدرب قائد هو المصطفى ﷺ الذي كانت سيرته مسيرة لتغيير العالم، بدون شروط موضوعية وبدون حسابات القوة، لكنه أمن، ودعا، وصبر، حتى أتم الله عليه النعمة وأكمل له الدين.

نهج السنة

على نهج السنة نسير نحو إصلاح النفس وتغيير العالم، وعلى هذا السبيل نسير على بصيرة بقلب العابد وعمل المجتهد، فتغيير العالم مهمة صعبة، لكنها ليست مستحيلة، والبداية قد تكون كلمة تنمو، أو فعلاً يسمو، أو تحالفاً ينقذ البشر والشجر والحجر.

تغيير العالم مهمة إسلامية.. مقاصدها إنسانية.. وغاياتها ربانية.. رحمة للعالمين.